والتي تسعى للانتقام من العرب ، قد انفعلت من بطولة الفتى ، وذلك حينما هاجم بمسدسه اوتوبيسا عربيا بناء على مهمة مكلف بها من الخلية السرية التي يعمل معها ، ونتيجة لهذا الاحساس ترضخ له وتتورط معه في مغامرة عاطفية . ولكن من هنا وحتى الحب اليائس ، وللانتحار عن طريق اغراق نفسها — المسافة كبيرة . ان مرفه تظهر على الرغم من سمات الرغبة الانتقامية والعدوانية المتأصلة في نفسها تجاه العرب كانسانة لا تقدر على عمل شيء . انها لا تبذل اي محاولة من اجل تغيير حالتها الاسرية ، او لاستقطاب الفتى اليها حينما قرر قطع العلاقات بينهما . ان تصرفاتها غير متسقة ، وغير منطقية ، كما ان اخطاءها ايضا غير منطقية . ان شيلاف قد صور شخصيتها بشكل بدت معه وهي محاطة بالكثير من علامات الاستفهام .

وضمير الفتى — ضمير ذلك الشاعر عضو الحركة الارهابية الصهيونية — الى اين يتجه ؟ ان الناص يشير في اماكن كثيرة من الرواية ، الى ان الفتى كان حائرا في البداية وكان يخشى من زوج مرفه ، عامل الرافعة ، وكان يحلم بانه يلقي به من فوق الرافعة الى اسفل — ولكنه سرعان ما يتخلص من هذه المخاوف ويقيم معهما في بيتهما ، ويأكل على مائدته ويتجاهل النقطة الضميرية على الاطلاق . وفيما عدا ذلك : ما الداعي الى دفع الفتى الى تخبطات الحب مع ثورة وسارة . ان الاولى كانت بمثابة حدث عرضي ، والثانية — تزوجها اخيرا واحتفظ بها لعدة سنوات ، حسبما يدرك القارىء ذلك من الفلاش باك الذي يحدث حينما يتحدث الفتى بعد ان يبلغ الخمسين من عمره عن تلك الفترة من حياته . واذا كان الناص قد قصد بهذا أن يشير الى ان بطله الضعيف النحيل قد استبد به حبه المحرم ومغامراته مع مرفه ، لدرجة انه أصبح اسدا مفترسا ، ينقض على كل فتاة ، اذن فلماذا اورد على لسان الفتى نفسه كلمات مليئة بالدهشة عن طريقة حياته وعن اعماله هذه ؟ واذا كان قد اراد ان يرمز بذلك الى محاولته التخلص من سيطرة مرفة عليه وذلك باقامته علاقات مع اخريات ، فان الاشارة كانت واهية ، وغير مقنعة.

والجدير بالذكر بين سطور تلك الرواية ، هو شحنة العنصرية والكراهية التي يكنها الكاتب باعتباره من غلاة الصهاينة المتطرفين ، من خلال شخصية مرفة، التي جعلها ضحية للروح العدوانية العربية : قتلوا اباها ، واغتصبوها ، ولذا فهي تريد الانتقام ، وهي لا تنتقم ولكنها تستخدم عشيقها وسيلة للانتقام من العرب ويكون هذا الانتقام هو بمثابة المدخل الذي يتمكن عن طريقه من الولوج الى حياتها وقلبها .

رشاد الشامي